مركز نماء للبحوث والدراسات
Namaa Center for Research and Studies

namacenter

أوراق نماء

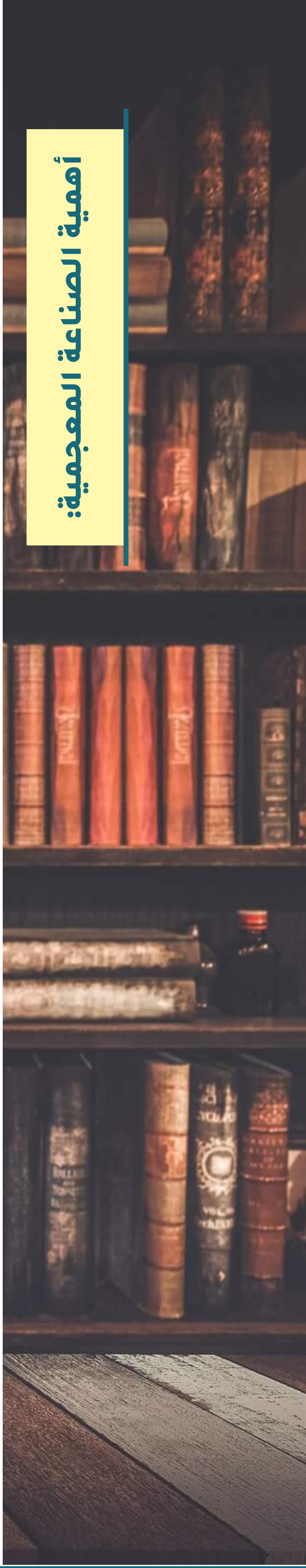


أهمية الصناعة المعجمية:

الموسوعات والمعاجم
حافظات للعلوم والتراث.

ليث العتابي

بسم الله الرحمن الرحيم



الموسوعات والمعاجم حافظات للعلوم والتراث.

ليث العتابي..
leath.atabe@gmail.com

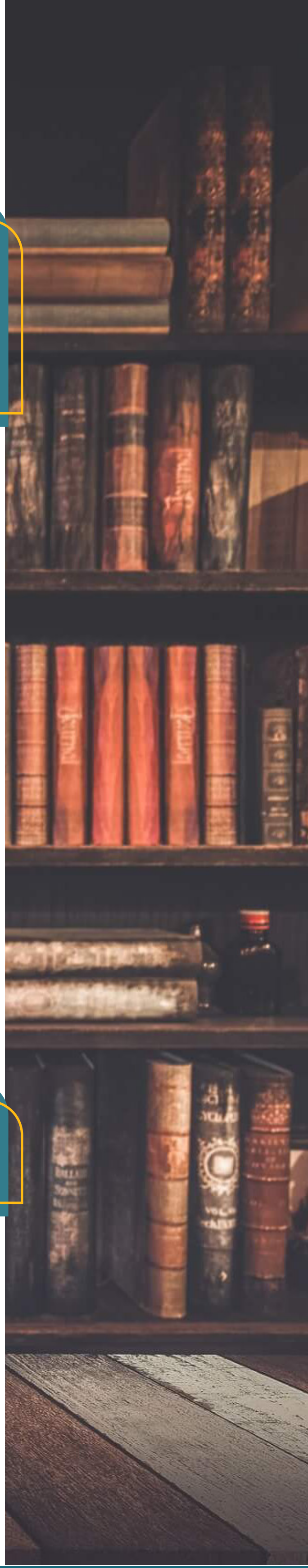
The importance of the lexicon industry: Encyclopedias and dictionaries are portfolios of science and heritage.

في الوريقات القادمة سنتناول أهمية الموسوعات والمعاجم، وما لها من أهمية في حفظ العلوم والتراث، وفي البناء التأسيسي للعلوم والمعارف، ولا بدّ من دراسة أهمية المصطلح والمفهوم، وما بينهما من موارد التقاء وموارد افتراق، كل ذلك في سبيل إعطاء صورة واضحة عن هذا العلم المهم.

كلمات مفتاحية: موسوعة، معجم، مصطلح، مفهوم.

The importance of encyclopedias and dictionaries, as well as the importance of preserving science and heritage, and the fundamental construction of science and knowledge, will be examined. The importance of the term and the concept.

Keywords: encyclopedia, lexicon, term, concept.



✸ المقدمة

إن مسارات الفكر البشري متنوعة ومتعددة، تصنع وتخترع، تتطلب وتتمنى، تزيد وتنقص، تُبدع وتُخفق، فهذه هي سنن بني الإنسان، وهذا هو مساره منذ أن خُلق وإلى أن تقوم القيامة.

لقد تطورت العلوم والمعارف حتى احتاجت إلى فهارس وإلى دراسات ببليوغرافية متخصصة، ثم تنوعت وتعددت وتشعبت، فوضع لكل علم قواميسه ومعاجمه الخاصة به.

ثم تطورت الدراسات المعجمية والبحث الموسوعي والقاموسي إلى درجة تعدد المناهج، وتنوع الاتجاهات، واختلاف الأساليب البحثية بنحوٍ منهجيٍ واضحٍ وليس بنحوٍ كيفي اجتهادي، من ذلك جاءت أهمية الدراسة الموسوعية والمعجمية، ولذلك لا بدّ من الاطلاع على هذه الأهمية، وتوضيحها، والاهتمام بها؛ من خلال دراسات تخصصية جادة وفاعلة تراعي الجودة والجدوى معاً.

✸ الغاية من تأليف الموسوعات والمعاجم

إن الهدف والغاية من تأليف المعاجم والموسوعات عدة أمور مهمة منها:

١. مخاطبة جميع القُراء بشكلٍ عام بأسلوبٍ موجزٍ في التعبير، واضح الدلالة والهدف، سهل الفهم والتفسير.

٢. طرح المعلومات بعدد معين من الكلمات، وبعدد معين من الصفحات، وترك المجال في التوسع إلى الكتب المختصة

والواسعة التي يشار إليها في هوامش البحوث، من خلال طرح أكبر قدر ممكن من أمهات المصادر أو المراجع المهمة.

٣ـ طرح أكبر قدر ممكن من المصطلحات المهمة والمفيدة وذات العلاقة بالعلم المبحوث وما يتعلق بذلك، وتوضيح الإشكاليات، وحل الملابسات.

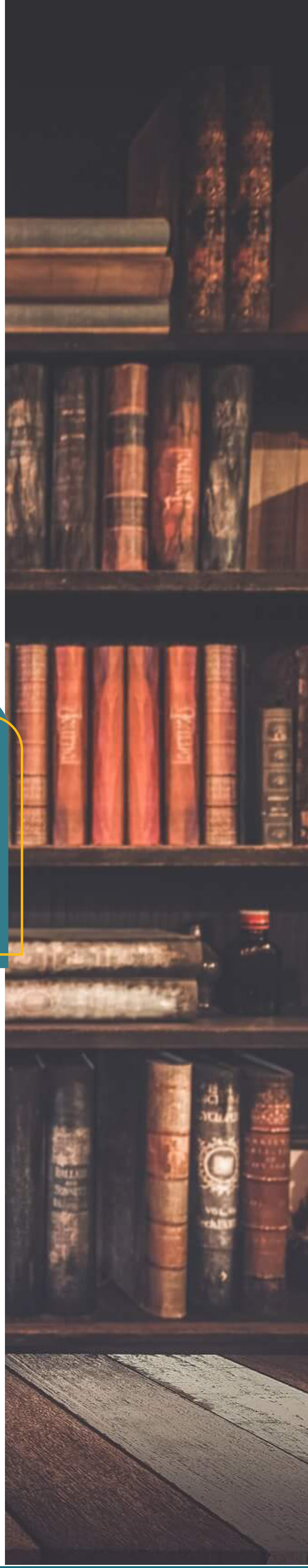
٤ـ مواكبة العصر، وملاحقة التطور في الأساليب والمعلومات والمصطلحات، أو المفاهيم والعبارات الجديدة، التي ربما هي قوالب لمصطلحات قديمة أو مرادفة لها.

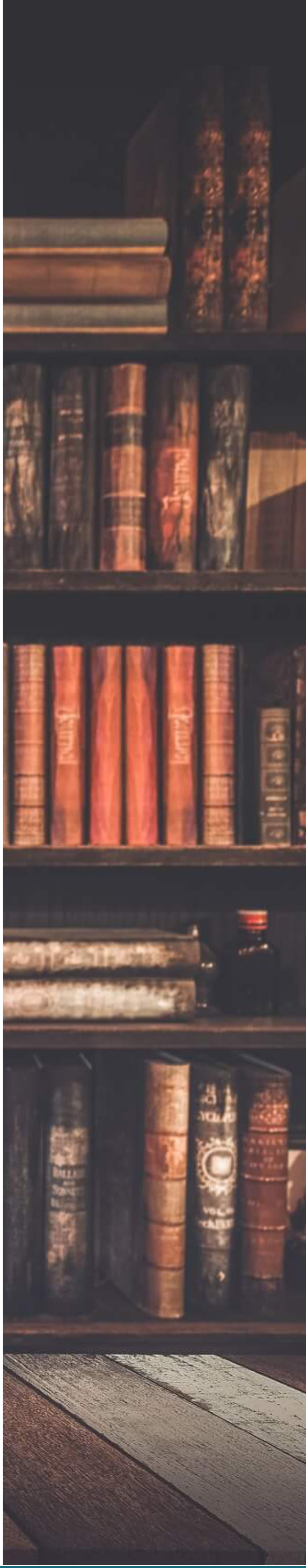
✸ أهمية الموسوعات

إن غريزة حب الاطلاع والكشف عن المجهول تُعد أهم الغرائز التي رُكّبت في الوجود الإنساني؛ لتجسد البعد العقلي والروحي في أصل خلقته، ذلك أن ميول وغرائز الإنسان تجنح به إلى إروائها، شأنها شأن غريزة الجوع التي تجنح إلى الطعام لتسد حاجتها.

نعم، إن البشر يتفاوتون في التأثر بهذه الغريزة، فمنهم من يستجيب لها بضعف، ومنهم من يستجيب لها بقوة، ومنهم من يجنح لها في مجال واحد أو شأن واحد، ومنهم من يفعل أكثر من ذلك، ومنهم من يشارك في بابٍ واحدٍ منها، ومنهم من يشارك في أكثر من باب كما هو شأن الموسوعيين من العلماء.

يُطلق اسم الموسوعة أو دائرة المعارف على البحوث الواسعة المستفيضة، التي تجمع المعارف والحقائق والتصورات العامة بين دفتيها، بل وجميع ما يدخل ضمن دائرة العلم والاهتمام الإنساني، وكل ما يحتاج إليه البشر في حياتهم واهتماماتهم الدينية، والعقدية، والأخلاقية.





لقد اُشتُهر إطلاق مصطلح (إنسيكلوبيديا) على دوائر المعارف، التي يراد بها عند اليونان سبعة موضوعات تعتبر عندهم أُس العلوم آنذاك وهي: (الصرف والنحو)، و(المنطق)، و(البلاغة)، و(الحساب)، و(الهندسة)، و(الموسيقى)، و(الهيئة).

تختلف الموسوعات عن المعاجم والقواميس، ذلك أن الأخيرين يقدمان تعريفاً مختصراً عن الكلمة أو المصطلح المبحوث، فيما تتوسع الموسوعات في بيان المصطلح بطريقة شبه مستفيضة، ومن جميع الجوانب، وفي مختلف المجالات، وبتصور واسع شامل ضمن نطاق التوسع غير المخل، والإفادة الحقيقية الموضوعية.

إن الموسوعات تبحث عن المصطلح وفق منهج توصيل الحقيقة عنه، وبطرق مختلفة، إذ لا يمكن تحديد أو تقنين البحث الموسوعي في نطاق ضيق، وإلا فلن يكون موسوعياً، أو لا يصح إطلاق الموسوعية عليه.

إن الترتيب الذي تنتظم وفقه الموسوعات إما أن يكون وفق الموضوع فيكون هو محور البحث، أو وفق الترتيب الألفبائي حيث تكون حروف التهجي هي أساس التنظيم، ويطلق على الأولى الموسوعات الموضوعية، ويطلق على الثانية الموسوعات القاموسية أو الألفبائية. وهذان الطريقان هما الأشهر في تدوين الموسوعات التخصصية، وإن كان الطريق الألفبائي هو الأكثر شهرة.

إن ترتيب المعاجم والقواميس اللغوية أو الرجالية وغير ذلك، قد عرفه العلماء المسلمون منذ أمد بعيد، فكانوا يهتمون بذلك، ويبدعون في الترتيب والتبويب، لا تمنعهم الإطالة، ولا يعوقهم تعب الانكباب على الكتابة والتدوين، فكان لمؤلفاتهم السحر والأثر الكبير لتتلقفها متاحف العالم أجمع، يزينون بها متاحفهم، ويستمدون منها العلوم والمعارف التي لا ولن تنضب.

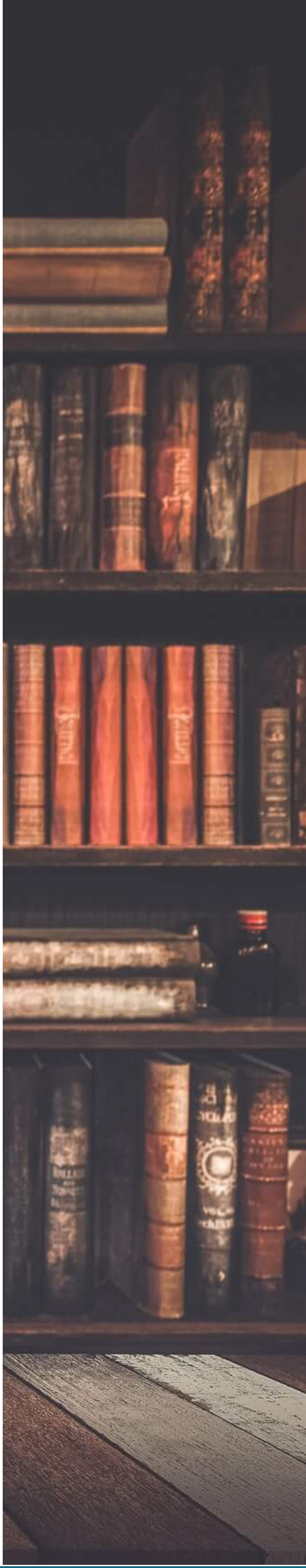
إن الموازنة ما بين غزارة العلوم وقصر العمر؛ تحتاج إلى منهج خاص في استيعابها، أو الإلمام بها ولو إجمالاً.

تُعد الموسوعات الصياغة والطريقة المثلى لملاءمة غزارة العلم وقصر العمر، فهي ومنذ إنشاؤها وتأليفها قد أسدت خدمات علمية لا تحد بحدود، ولا توصف بوصف، وقدمت كماً علمياً ضخماً لرواد العلم والمعرفة، وذللت الصعاب، واختصرت الوقت، وقربت البعيد، وسهلت الفهم، ويسرت عملية الكتابة والتأليف.

نعم، كثيراً ما يقع اللبس في تحديد مدلولات المصطلحات، وهذا ما يسمى بالإشكال المفهومي، إذ إن الخلل في المفاهيم يوقع في إشكاليات.

كما قد يقع الاختلاف في تحديد محل الخلاف ما بين المفاهيم والمصطلحات، أو ما بين المصطلحات وشرحها، وليس للعلم -بما هو علم- أو للإسلام -وللمنظومة الإسلامية- أي مدخلية في إيقاع التوهم أو إيقاع الاختلاف، إنما الخلاف والاختلاف قد فرضته ظروف معينة أساسها (الأنا) المتسترة وراء المذهب أو الطائفة أو القومية أو النظرية أو ما شاكل ذلك.

من هنا جاءت أهمية الموسوعات -العلمية الحقيقية- في رسم مسار علمي بحت، خالٍ من (الأنا) ومن كل متعلقاتها، مرجعيتها -مرجعية الموسوعات الحقيقية- في ذلك أهل الاختصاص من أصحاب الحياد العلمي، وإلى مجامع لغوية معتبرة وموثوقة؛ لكي تعالج حالات النقص والحاجة، وتعالج موارد الاستحداث والابتكار، وتعالج موارد النقل والاستعارة، كل ذلك بما يضمن الحفاظ على اللغة الأم واللغة المنقول إليها، حتى يُبتعد عن موارد الشطط أو تدخل (الأنا)، أو النقل المزاجي الفردي.



إن المجتمعات والتجمعات العلمية والمعرفية التي تهتم بالموسوعات والمعاجم هي مجتمعات وتجمعات راقية، باحثة عن العلم من منابعه الأصيلة، مجتمعات وتجمعات تريد أن تؤسس لانطلاقة معرفية فريدة من نوعها، ومفيدة على جميع الصعد ولكل الأزمنة، لا يحدها زمان أو مكان.

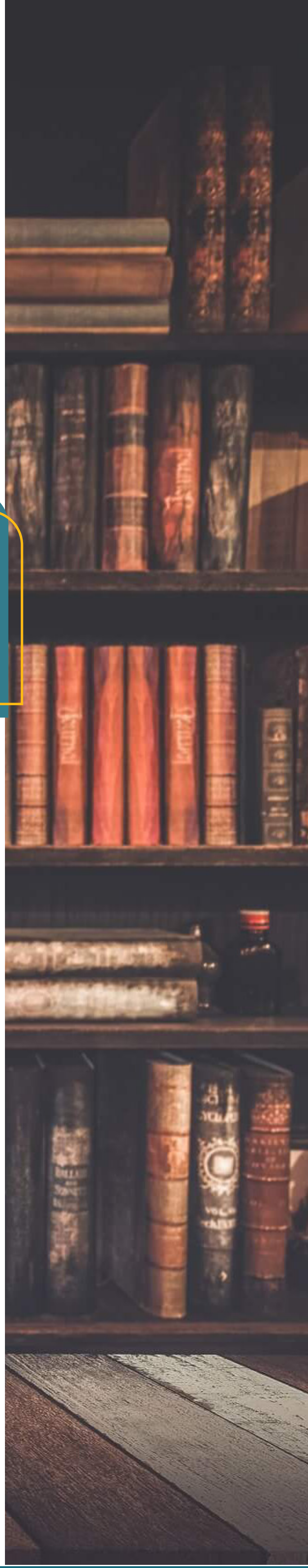
✸ ميزات المنهج الموسوعي

إن للمنهج الموسوعي عدة ميزات مهمة، لا تخفى على طلاب العلم فضلاً عن العلماء وأصحاب الاختصاص، وبالخصوص الموسوعات الحديثة، ذات المنهجية المختصة والموضوعية، ومن أهم هذه الميزات:

١- الالتزام بالصياغات الحديثة في البحث والتتبع والتعبير، بحيث لا تعلو على أفهام المبتدئين، ولا تنبو عنها أذواق المختصين، أساسها إعانة المثقف على نيل مراده بأقصر وقت وأخصر طريق، مبتعدة عن حشو الكلام، وفضول التعابير.

٢- وجود الضابط العلمي الذي يتحكم بمنهج وسير البحث الموسوعي في أصله وفي مادته وفي تعابيره، ذلك أن الفكرة تُذكر في مكانها المناسب، فالعمل الموسوعي أساسه (جمع المتفرقات)، وهذا ما يحتاج إلى ذوق واختصاص وتركيز ومطاولة وصبر، فمعلومات الموسوعة انتقائية نخبوية، وليست مشاعة ومستهلكة أو غريبة ومبتذلة.

٣- أن البحث عن المصطلحات في الموسوعة هو بحث يخضع بالعموم للمنهج الألفبائي، ذلك أن المحور هو مادة الكلمة وليس موضوعها، وخاصية هذا المنهج أنه يدل على المعلومات بشكل سهل ويسير، فيسهل للباحث الظفر



بمراده وإن لم يكن من أهل ذلك العلم، أو يعوزه الإلمام بمواطن وطرق البحث.

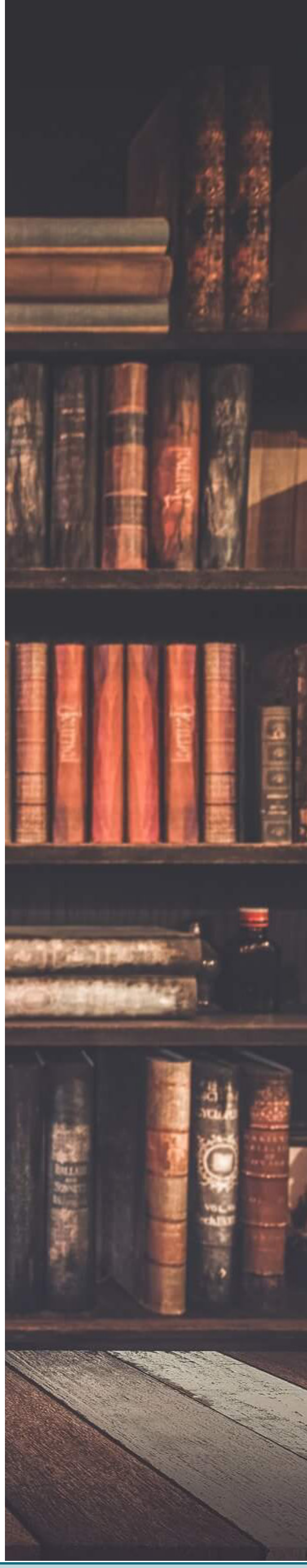
٤. يتسم منهج الموسوعات عموماً بالحيادية إزاء الاتجاهات والآراء المتعرض لها، أو الأفكار التي تتجاذب الموضوع المبحوث، على الرغم من إمكانية الموازنة والمحاكمة بين الأدلة والآراء والأفكار بقدر معين، وضمن منهج معين، ذلك أن حاكمية البحث المصطلحي تحتم الاختصار في الطرح قدر الإمكان، وإلا فما فرق الموسوعة عن الكتاب العادي؟!

لذا فإن الطرح في الموسوعة هو في عمومه طرح محايد أو شبه محايد، أو هو محايد قدر الإمكان، رغم أن واجب دفع الإشكاليات يحتم الإشارة إلى ماهية وحقيقة الطرح الخاطئ، وإلى الإشكاليات؛ خوف وقوع البسطاء فيها.

٥. تعتمد الموسوعات على المنهج الوصفي في عرض موضوعاتها وبحوثها، أي: أنها تُعرض ضمن صياغات خاصة مصطلحاتها وبحوثها وموادها، مع الحفاظ على المضمون كماً ونوعاً، فالموسوعة لا تقدم جديداً، بل هي توضح المبحوث وتقدمه بأفضل الطرق للباحث، ومن أفضل من الوصف، أو المنهج الوصفي في طرح الموضوعات المبحوثة.

٦. تمتاز الموسوعات بتوثيق المعلومات الواردة من خلال تذييل بحوثها بذكر المصادر ليستزيد منها من يريد التوسع.

إن توثيق المعلومات وذكر مصادرها، أو المراجع التي أُخذت منها، سواء أكانت عربية أو أجنبية هو أهم ما في الموسوعات، ودلالة على الأمانة العلمية في النقل، ودليل توثيق للموسوعات، وطريقة مهمة تدل الباحثين على طريق المصطلح وعلمه الذي يختص به في حال الاستزادة أو البحث التأليفي المختص.



٧ـ وضع خطة العمل في كيفية البحث عن كل مصطلح ووفق أي أسلوب وضمن أي منهجية.

فإن وضع الخطة -أي: خطة العمل في الموسوعة- يعد الركيزة الأساس في العمل، وبالخصوص لو كان العمل مشتركاً بين عدة أفراد أو عدة مؤسسات، وهذا يفرض دستور عمل لا بدّ -بنحوٍ ما- الالتزام به، حتى يعد البحث مفيداً، ملتزماً بأسلوب واحد موحد، أو طرح نموذجي محدد، وهذا يعد الأفضل وليس بالواجب الحتمي.

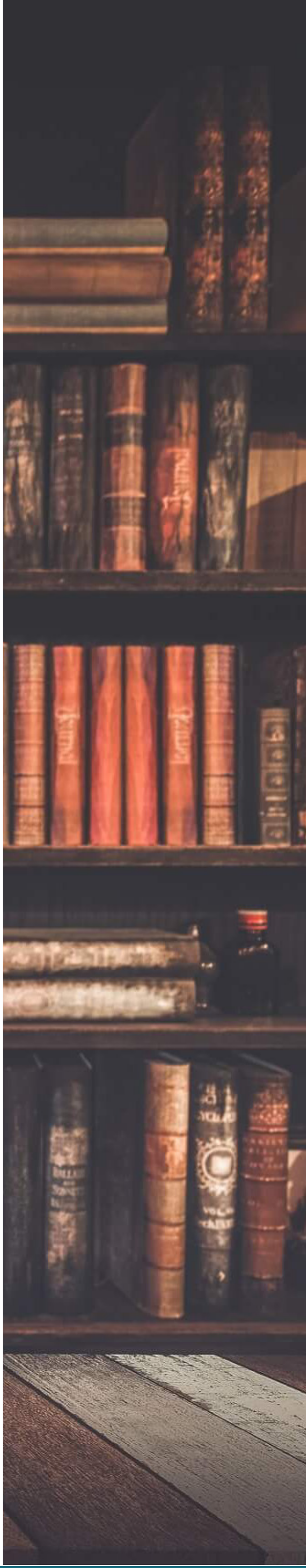
٨ـ الالتزام بالمرجعية الفكرية والمعرفية للمدرسة التي قُرر تناولها والسير على خطاها.

فإن المدرسة التي يُكتب على وفق منهجها تفرض منهجها الخاص بها من حيث المنهجية المركزية وفق مجامع اللغة الرئيسة فيها، من حيث اللغة، والتقنين، وكيفية تناول المصطلحات، الأصلية وما يتفرع عنها.

كما أنها تفرض مرجعيتها المعرفية على من يلتزم بالسير وفق نهجها، وليس من حق أحد الأخذ من منهج مغاير، أو كتابة كتابات المغرضين والمعادين لها، نعم هناك سعة في موارد المقارنة ورد الاشكاليات، وهو مورد محدد له مسوغاته، أما في غير ذلك فلا يصح أبداً الكتابة على خلاف منهج المدرسة المعرفي مطلقاً.

٩ـ تحديد العدد في المصطلحات وفي الأجزاء وفائدة ذلك، أي فائدة ما لو كان كتاباً واحداً ولماذا، أو عدة أجزاء ولماذا.

فإن من أساسيات الخطة العامة هو أن نحدد عدد المصطلحات المبحوثة، وهل سيبحث عنها فقط أم عن ملحقات لها؟، وهل ستنفتح مباحث جانبية لها، وما فائدة ذلك،



وكذلك تحديد عدد أجزاء الموسوعة، أفي جزء واحد أم أكثر؟ ولماذا؟، فهناك من يريد ان يلخص موسوعة كبيرة ليجعلها كتاباً واحداً، وهناك من يوسع كتاباً ليجعل منه عدة أجزاء، كل ذلك لا يخلو من فائدة قد بُينت في مقدمات الكتب المؤلفة.

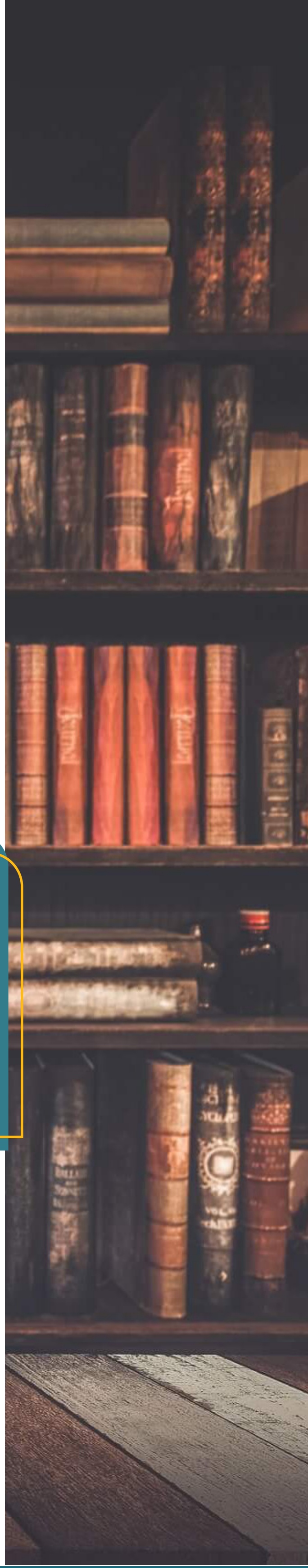
١. إظهار النتيجة بأحسن أسلوب ووفق أحسن طباعة ووفق شكل جميل وحلة قشيبة.

فمن اللازم أن يكون النتاج العملي لما تقدم نظرياً نتاجاً مفيداً وجميلاً في حلة قشيبة، وشكل جميل، ووفق خطوط تريح القارئ والباحث، وهذا ما كان هدف المتصدين للموسوعة، بأن تظهر بأفضل حلة، وإلا فما فائدة النتاج غير المنسق، فإن أحسن الأعمال أتقنها.

✸ أهمية البحث المصطلحي

إن العلم بحقائق الأشياء، والوعي بماهية المفاهيم، والوعي بالمصطلحات يعد مدخلاً رئيساً لتوسيع دائرة العلم ولتضييق دائرة الخلاف، ولربما إزالتها، إن جذور الخلاف عائدة في كثيرٍ من الأحيان إلى الاختلاف بالمفاهيم والمصطلحات. كل هذا أدى إلى حصول تشويشٍ واضح في تحقق ماهية الفهم والإدراك الجدي للمراد في كثيرٍ من الأحيان.

إن هذا التشويش الحاصل في اللغة المفهومية أدى إلى إعاقة التقدم في البحث العلمي، وتعثر التجربة النظرية، بل قد تعداه إلى كل شيء فَوَصلَ إلى الأديان، وإلى أصولها، وفروعها، وكل ما يتعلق بها. فكان لزاماً رفع هذا اللبس، وإزالة هذا التشويش وذلك من خلال تحديد المفاهيم التي نعمل عليها، فالإشكال هو إشكال مفهومي بحت، إذ إن أكثر إشكالاتنا هي بسبب (الاختلاف في المفاهيم)، فلو استطعنا أن نجد الحل



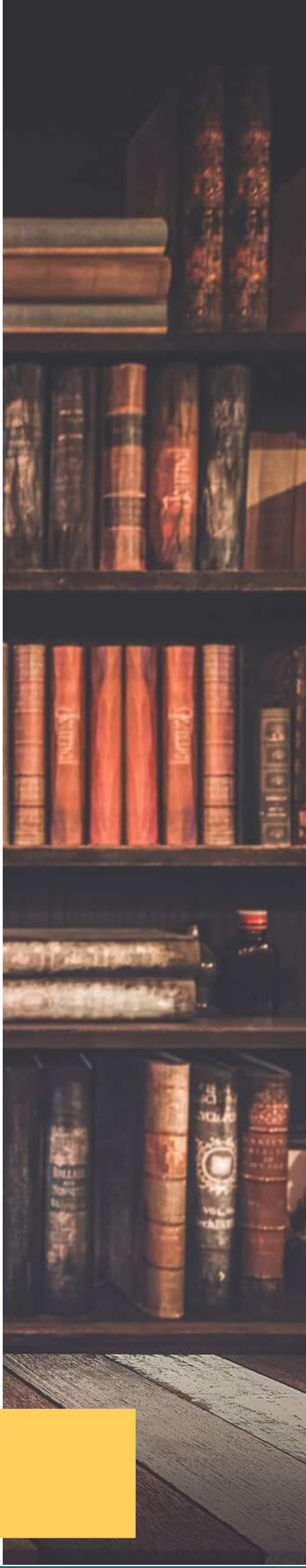
لـ(إشكال المفهوم) لاستطعنا حل جميع الخلافات، وفض جميع النزاعات، ولقد عبر البعض عن هذا الإشكال وسماه (حرب المفاهيم)، أو (حرب المصطلحات).

نعم، فـ(بقدر ما كانت المفاهيم سبباً في تطور العلم فإنها كانت في أحيان عديدة سبباً في تضليل المجتمعات وتفككها وخراب الدول واندثارها)[١].

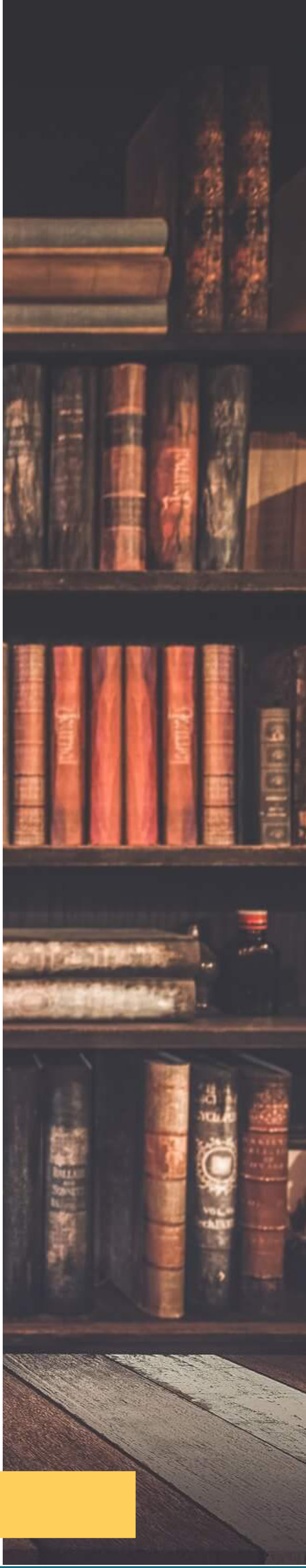
يقول الفيلسوف (رابو برت): (ولا يخفى ما في تحديد معاني الألفاظ من الفائدة، فكثيراً ما يثور الخلاف بيننا في مسألة، ويشتد الجدال في موضوع، ويظهر أن المتجادلين على خلاف فيما بينهم، وهم في الواقع على اتفاق، ولو حددت ألفاظهم لتجلى لهم أنهم على رأي واحد)[٢].

ويقول (جان بول سارتر) عن ذلك وبالخصوص عن خطورة اللغة التي تعتبر أداة التوصيل والتواصل بين البشر وأساس صنع المصطلح: (الكلمة ليست نسيماً عليلاً يداعب مخيلاتنا وعقولنا دون أن يؤثر فيها، لكن الكلمة هي أداة الإرسال والاستقبال والتوجيه، هي مسدسات محشوة قد تحمي الخير أو تجهز عليه)[٣].

إن من البداهة أن يتسبب التطور الهائل بظهور مفاهيم وكلمات جديدة ليس لها ما يقابلها في اللغة، مما يؤدي بالمعنيين والمختصين باللغة إلى وضع ألفاظ تتلاءم مع المفاهيم الجديدة، وهم عادةً يلتمسون ذلك من ألفاظ لغتهم حتى لا تخرج من دائرتها، وأن تكون قريبة -قدر الإمكان- إلى فهم أبنائها، في سبيل إغناء تلك اللغة، وجعلها تمتلك المرونة اللازمة لمواكبة التطور.



(١) العاتي، إبراهيم، حرب المفاهيم (بحث)، موقع الركن الأخضر (الركن الثقافي).
(٢) رابو برت، أ. س، مبادئ الفلسفة، ترجمة: أحمد أمين، ص ٣٩.
(٣) طهوب، ديمة طارق، حرب المصطلحات (بحث)، موقع إسلام أونلاين.



نعم، لقد أصبح (المصطلح) أداة ربط، ووسيلة تفاهم بين الأمم، فهو اللغة المشتركة التي تجمع بين الكل، وهو نموذج واقعي على حيوية اللغة في تحقيق خاصية التواصل، خصوصاً أن الحاجة إلى المصطلح لا تنتهي، ودائرته لا يمكن إغلاقها، ومجالاته كثيرة لا يمكن الوقوف عند حدودها، كونه علم متجدد غايته وهدفه مواكبة كل جديد لأنه مرتبط بالمعرفة الإنسانية الدائمة النمو، ومتصل بالغريزة الإنسانية التي تسعى لمعرفة الأشياء ووضع الأسماء الملائمة لها.

لكنه -أي المصطلح من جهة أخرى- أصبح مثاراً للخلافات، والحروب، وكل أنواع العداوات، بسبب عدم الاتفاق، أو عدم التصالح على معنى محدد لكثيرٍ من المصطلحات والمفاهيم الموجودة.

(إن المفاهيم تؤثر في سلوك الأفراد والمجتمعات، وتصوغ رؤيتهم إلى وجودهم.. فإذا لم تكن واضحة، اضطربت هذه الرؤية، وتشتت السلوك الفردي والجماعي)[1].

إن عملية تبدل وتغير المفاهيم والمصطلحات بفعل المؤثرات أمر مهم لا بد من دراسته دراسة عميقة، ومتأنية، ودقيقة، ومفصلة في الوقت نفسه، كما لا بد لأي دارسٍ لأي مفهوم أو مصطلح أن يفهم ذلك بدقة، وإلا فستلتبس عليه عملية التمظهر التي مر بها حتى وصل إلى ما هو عليه، والأمثلة على ذلك كثيرة.

لقد أصبحت (المفاهيم) و(المصطلحات) أدوات مهمة في الصراع الحضاري والفكري بين الأمم، بل وحتى في داخل الأمة الواحدة، إذ يهتم أعداء أي مبدأ في صراعهم بـ(الألفاظ) و(المفاهيم) و(المصطلحات) مستغلين ذلك، ومستعينين بتحريفه عن معانيه الحقيقية، ومغيبين المراد الحقيقي.

(١) العلي، محمد، نمو المفاهيم، ص ٩.

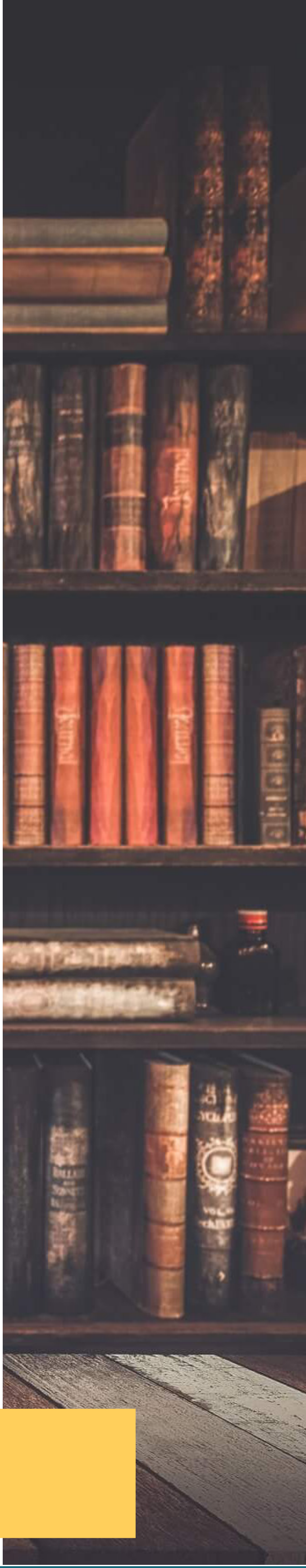
فالقوي يُضمّن المصطلحات المعنى الذي يريد، ثم يحاكم الناس على ذلك دون رحمة أو شفقة.

إن التطور العلمي والتقني سريع جداً، بل إن سرعته هائلة أدت إلى صعوبةٍ في مواكبة المستجدات، أو لتوفير المصطلحات الملائمة لها؛ لتغطي الحاجة المعرفية لدى الإنسان. فما كان من اللغات إلا أن تلجئ إلى (الاستحداث) بما يلائم شكل، أو عمل ذلك (الوافد الجديد)، أو قد تلجئ للتركيب منه ومن شيء معلوم قريب منه، أو قد تلجئ إلى الاشتراك اللفظي المحفوف بالقرينة الصارفة.

من جراء كل ذلك، ومن تداعياته، والتباساته، وما أحاطت به من مشكلات وتساؤلات نشأ: (علم المصطلح)؛ الذي يعتبر من العلوم الحديثة هدفه تحقيق المطلوب من خلال مواكبة التطور العلمي والتقني الذي يشهده العالم، ومن أجل تحقيق الفهم الصحيح لكل وافدٍ جديد بما يلائم اللغة، والحاجة، وفهم المُتلقي[١].

لقد عرف (علم المصطلح) بأنه: (حقل المعرفة الذي يعالج تكوين التصورات، وتسميتها سواء في موضوع حقل خاص، أو في جملة حقول المواضيع)[٢].

أما الأستاذ عبد الملك مرتاض فيقول: إن (المصطلح في أصله يعني اتفاق أناس على تخصيص لفظٍ ما لحقلٍ معرفي معين يليق بالدلالة التي يودون الانتهاء إليها من أجل مصلحة يجنونها خلاف ذلك الاستعمال... ونلاحظ أن مفهوم المصطلح في اللغة العربية لا يطابق مفهوم المصطلح في



(١) ظ: العتابي، ليث، الأدوات المعرفية، ص ١٩٤.
(٢) هيئة المواصفات والمقاييس العربية السورية، معجم مفردات علم المصطلح، مجلة (اللسان العربي)، الرباط، المغرب، ع ٢٤، ١٩٨٥، ص ٢٢٣.

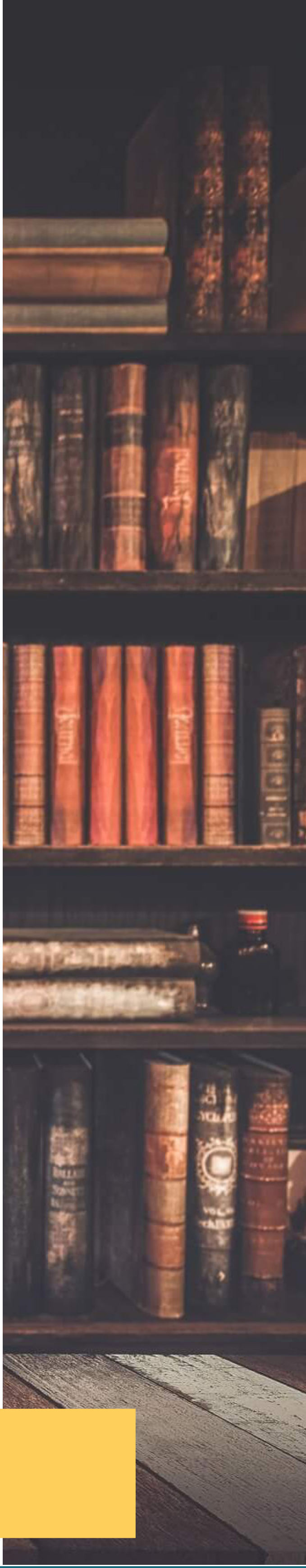
اللغات الأوروبية من حيث الاشتقاق والمعنى، ولكنه يطابقه من حيث الوظيفة والدلالة)[١].

من البداهة أن يتسبب التطور الهائل بظهور مفاهيم وكلمات جديدة ليس لها ما يقابلها في اللغة، مما أدى بالمعنيين والمختصين باللغة إلى وضع ألفاظ تتلاءم مع المفاهيم الجديدة، وهم عادةً يلتمسون ذلك من ألفاظ لغتهم حتى لا تخرج من دائرتها، وأن تكون قريبة إلى فهم أبنائها، وفي سبيل إغناء تلك اللغة، ولجعلها تملك المرونة اللازمة لمواكبة التطور.

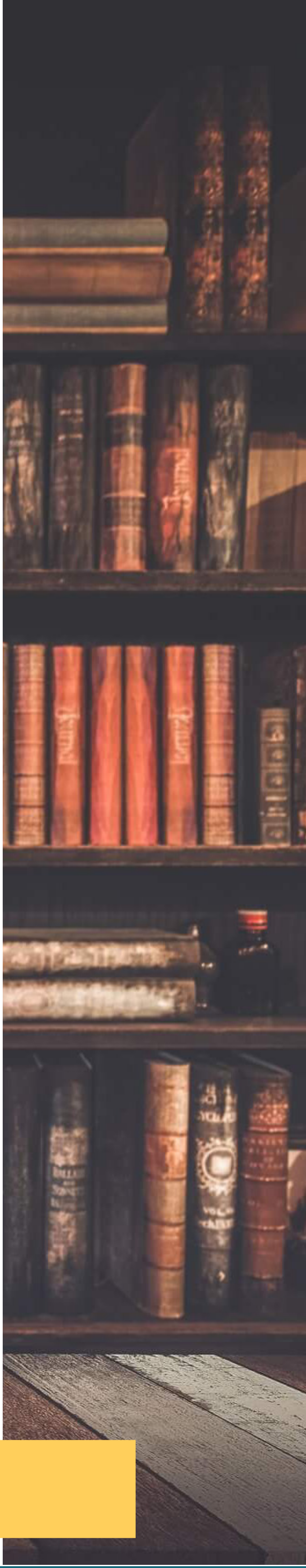
لقد أصبح (المصطلح) أداة ربط، ووسيلة تفاهم بين الأمم، فهو اللغة المشتركة التي تجمع بين الكل، وهو نموذج على حيوية اللغة في تحقيق خاصية التواصل، خصوصاً أن الحاجة إلى المصطلح لا تنتهي، ودائرته لا يمكن إغلاقها، ومجالاته كثيرة لا يمكن الوقوف عند حدودها، كونه علمًا متجددة غايته، وهدفه مواكبة كل جديد لأنه مرتبط بالمعرفة الإنسانية الدائمة النمو، ومتصل بالغريزة الإنسانية التي تسعى لمعرفة الأشياء، ووضع الأسماء لها[٢].

إن المصطلحات هي مفاتيح العلوم، وهي الرموز التي تحل الشفرات المعقدة، وهي الأدوات التي يستعان بها على فهم المعرفة. لكن وبقدر ما تسهم في الفهم، فهي -وبصورة متعمدة أو غير متعمدة- تكون سبباً في عدم الفهم كذلك، بل قد تتحول إلى أداة تثير الحروب وتؤجج الصراعات.

لكن المشكلة المصطلحية تعد من المشكلات التي لم يتم وضع حل لها لحد إلى الآن، وهي تزداد تعقيداً أكثر فأكثر مع توالي السنين، وتزداد أكثر مع هجرة المصطلحات من



(١) مرتاض، عبد الملك، صناعة المصطلح في العربية، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، العدد ٢، ٩٩، ص ١٢.
(٢) ظ: العتابي، ليث، الأدوات المعرفية، ص ١٩٥.



بيئة إلى بيئة أخرى مغايرة. ولا يمكن استعمال أي مصطلح إلا ضمن منهج مناسب، فلكل منهج مصطلحاته الخاصة به، وللمصطلحات مناهجها الخاصة بها.

كما لا بد من التأكيد على أن المنهج والمصطلح (وجهان لورقة نقدية واحدة، ولا يحسن الحديث عن أحدهما بمعزل عن الآخر، فكل منهما شاهد على وجود الآخر، وباعث على ظهوره، لهذا فإنه لا يعتبر تقرب أحدهما من الآخر تقرباً يوحي بالاستجداء أو الأخذ دون عطاء، وإنما هو تقارب يقوم على أساس من وجود المصلحة المشتركة التي تفترض فيما بينهما نوعاً من التكامل)[1].

لا بد أن نعلم أن (المصطلح) هو علامة لغوية خاصة تقوم على ركنين أساسيين هما:

١ـ الشكل أو التسمية.

٢ـ المعنى أو المفهوم أو التصور.

يوحدهما (التحديد) أو (التعريف) أي: الوصف اللفظي للمتصور الذهني.

نعم، تُعد مرحلة (الاصطلاح) من مراحل الرقي التي وصلها العقل البشري، إذ تُعتبر وبحق قفزة علمية نحو تحقيق مبتغى العلوم وغاياتها، إلا أن هذه الخطوة ورغم أهميتها فإنها لم تَخلُ من إفراط وتفريط على طول الخط المعرفي لتاريخ (المصطلح) بسبب عدم الاهتمام بضوابط أو قواعد العلوم.

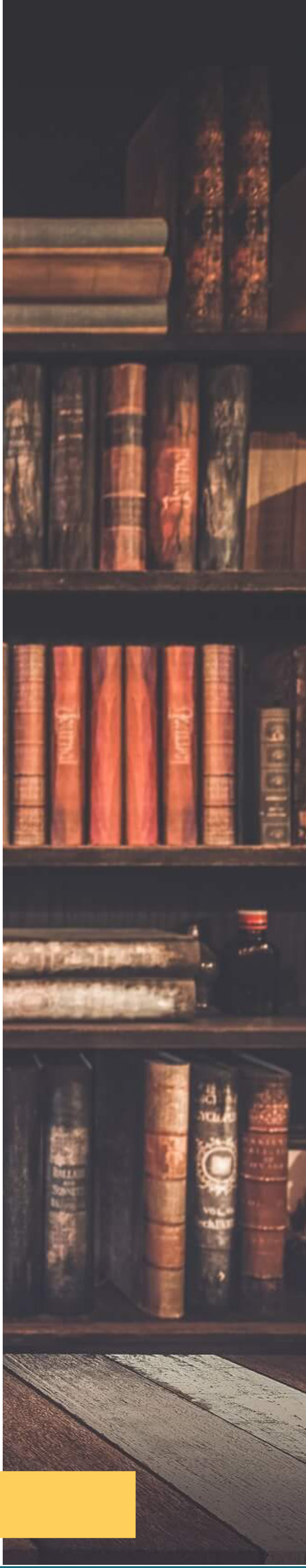
إن للتقعيد أهمية كبيرة في صناعة المصطلح، فبعد جمع الكليات ووضعها ضمن إطار قواعدي خاص يأتي

(١) عبد الرحيم، جواد حسني، إشكالية المنهج والمصطلح النقدي (ندوة)، مجلة اللسان العربي، الرباط، العدد ٢٣، ١٩٨٥ م، ص ٢٦٥.

الدور إلى إطلاق اسمٍ عليها، اسم مختصر، يُطلق عليه لفظ (المصطلح). إلا أن هذا الأمر لم يخلُ من الخلل والاجتهادات الخاطئة والقياسات وما شاكل ذلك من أخطاء علمية.

إن تاريخنا حافلٌ بنماذج كثيرة أوردت التهافت الحاصل في بعض المصطلحات، والخلل الواقع في مصطلحات أخرى، حتى بات الأمر بحقٍّ حرباً في (المصطلحات) و(المفاهيم) على حدٍّ سواء، التي كانت المنطلق للحروب الحقيقية، ولن تنتهي الحروب ولن يحل السلام إلا بعد حل إشكالات (المصطلحات) و(المفاهيم).

نعم، لقد أدى (المفهوم) دوراً عظيماً في سعة الهوة بين المسلمين مما أثر في واقعهم الاجتماعي فتفرقوا إلى طوائف ومذاهب وآراء ناتجة من الإصرار على تحديد مفاهيم قد يمكن التوصل إلى تحديدها بالأسلوب العلمي الرصين، ولم يكن هذا عند المسلمين وحدهم، بل شمل التاريخ البشري، والتاريخ العلمي مليء بمثل هذه الاختلافات المفهومية، بل أدى ذلك إلى الصراعات العالمية الداخلية والخارجية في المنظومات البشرية الوضعية وحتى المنظومات السماوية، إذ انشقت الديانات إلى فرق وطوائف متناحرة ومتصارعة بسبب المفاهيم التي يمكن إيجاد التحديدات الاجتماعية لها، ولكن الكل تمسك بتحديد المفهوم العام وادعى صحته وأقصى الآخر وروج لثقافة مفهوم آخر منشق من المفهوم التأسيسي الأول نتيجة لعوامل متداخلة مصلحية في الأعم الأغلب[1].



(١) مجموعة باحثين، المعجم الموسوعي لمصطلحات الحداثة، ج١، ص ٨٧.

✸ دور المصطلح المعرفي

تُعد مرحلة (الاصطلاح) من مراحل الرقي التي وصلها العقل البشري، إذ تُعد وبحق قفزة علمية نحو تحقيق مبتغى العلوم وغاياتها، إلا أن هذه الخطوة ورغم أهميتها فإنها لم تَخلُ من إفراط وتفريط على طول الخط المعرفي لتاريخ (المصطلح) بسبب عدم الاهتمام بضوابط أو قواعد العلوم.

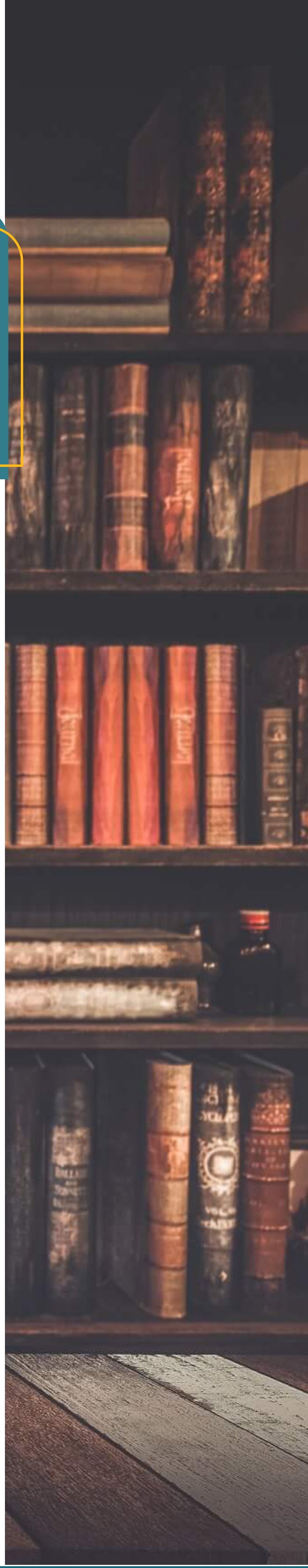
إن للتقعيد أهمية كبيرة في صناعة المصطلح، فبعد جمع الكليات ووضعها ضمن إطار قواعدي خاص يأتي الدور إلى إطلاق اسمٍ عليها، اسم مختصر يُطلق عليه لفظ (المصطلح). إلا أن هذا الأمر لم يخلُ من الخلل والاجتهادات الخاطئة والقياسات وما شاكل ذلك من أخطاء علمية.

إن تاريخنا حافلٌ بنماذج كثيرة أوردت التهافت الحاصل في بعض المصطلحات، والخلل الواقع في مصطلحات أخرى، حتى بات الأمر بحقٍّ حرباً في (المصطلحات) و(المفاهيم) على حدٍّ سواء، التي كانت المنطلق للحروب الحقيقية، ولن تنتهي الحروب ولن يحل السلام إلا بعد حل إشكالات (المصطلحات) و(المفاهيم).

وأمثلة ذلك مصطلحات ومفاهيم مثل: (الشرك) و(الشفاعة) و(الاجتهاد) و(الجهاد) و(القتال) وما شاكل ذلك.

هنا لا بدّ من تَحديد الجهة الخاصة التي لها التعامل المباشر مع المصطلح سواءٌ في صناعته أو في استقباله أو في نحته وغير ذلك من سياقات وتعاملات علمية.

إن (الجهة المسؤولة عن وضع القوالب لتلك المستجدات والعلامات هي (اللغة) كونها أشبه بالخلايا الدفاعية التي



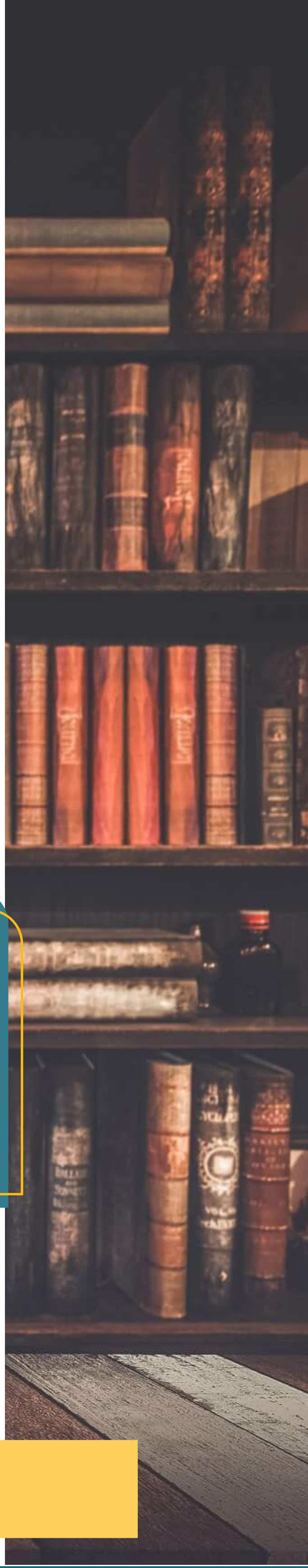
تستجيب لكل طارئ، وبالتالي إما أن تتقبل أو ترفض هذا الطارئ حسب مقتضى الحال)[١].

(إن أغلب المصطلحات قد مرت بتغيرات، وتبدلات زمانية قد نَقُصت، أو زادت، ووسعت، أو ضُيقت، أو بَدلت من حقائقها، وكلُّ ذلك لا بدّ من أن يؤخذ بالحسبان لدارسي ومستخدمي المصطلحات، كيلا يقعوا في الجهالة واللبس قدر الإمكان. وحينها يمكن لنا أن نقول بأننا قد فَهمنا حقيقة وماهية ذلك المصطلح. وحينها يمكننا المناقشة به عن علمٍ ومعرفة. لذلك فمن المهم فهم ومعرفة ما مرّ به أيُّ مصطلحٍ، وذلك وفق رؤية تحقيبية واضحة ولو إجمالاً لتتكون لدينا صورة واضحة له، ولكي نفهم ما مرّ به من تغيرات زمانية، ولتتعرف على الأسباب التي أدّت دوراً هاماً في وصوله إلى المعنى الحالي، أي: المتداول)[٢].

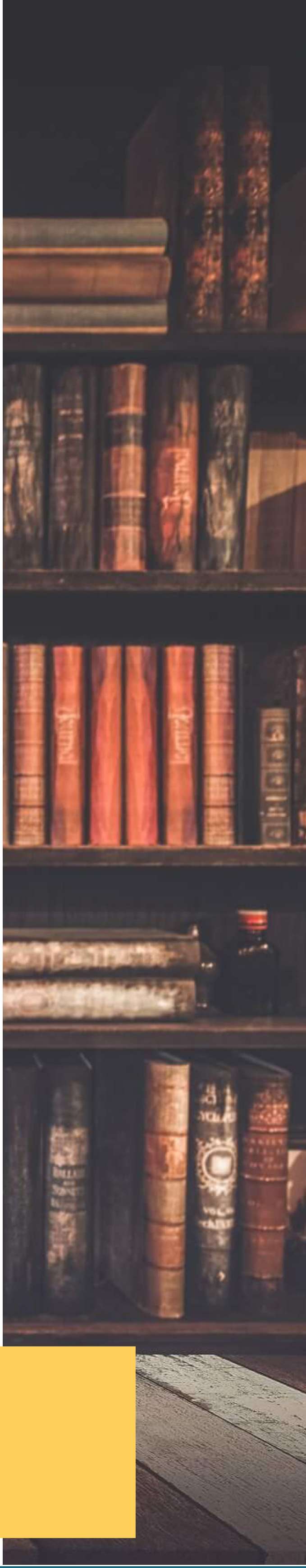
✸ بين المفهوم والمصطلح

لا بدّ علينا هنا من تعريفِ كلٍّ واحدٍ من (اللفظين) أو(الكلمتين)، وتبيين المائز بينهما، وتوضيح المشتركات الخاصة بكلٍّ منهما. ذلك أن البحث يريد الوصول إلى دقة أكبر في فهم كلٍّ من (المصطلح) و(المفهوم) لما له من مدخلية في سير البحث عموماً، وتوضيح ما يخص مفرداته في العنوان والمباحث بشكلٍ خاص.

إن الإنسان يلجأ فطرياً إلى عقد المقارنات بين الأشياء التي يتعامل معها والمواقف التي يمر بها، لإيجاد أوجه الشبه والاختلاف بينها ليستفيد من ذلك في مجال التطبيق على المواقف اللاحقة الجديدة. (هذه العمليات اختصرت الكثير من



(١) العتابي، ليث، الأدوات المعرفية، ص ١٩٣ ـ ١٩٤.
(٢) العتابي، ليث، الأدوات المعرفية، ص ١٩٩.



الجزئيات. وهكذا الحال بالنسبة للجنس البشري بشكلٍ عام، فمع كل تقدم يمر به تزداد وتنمو وتتوسع مفاهيمه، حتى وصل الحال إلى اختزال الكثير بالقليل، وذلك بأن يُعبر بكلمة واحدة فقط والتي يُطلق عليها لفظ (مفهوم) عن أشياء كثيرة)[١].

من هنا تأتي الأهمية الكبيرة والمهمة لتحليل (المفهوم)، في سبيل الوصول إلى المراد، بعد المرور بشروطه التي تعتبر أهم شيء في قوامه وقيامه.

وإلى ذلك يشير المختصون بقولهم: (إن تحليل المفاهيم يأخذ أهمية من كونه يوضح لنا الشروط المنطقية التي يجب أن تستوفيها عملية صياغة المفاهيم أو تعريفها أو اشتقاقها وطبيعة العلاقة التي تربط المفهوم بالخبرة أو تربطه بمفاهيم أخرى في النظرية)[٢].

والسؤال العلمي المطروح: هل (المصطلح) هو (المفهوم) نفسه أم إنهما يختلفان اختلافاً تاماً؟ أم ماذا؟

إن (مما تبادر في ذهن الكثيرين أن (المفهوم) و(المصطلح) من المترادفات اللفظية. لكن الواقع العملي يبين لنا أن لكلٍّ واحدٍ منهما شأنه وما يميزه وإن اشتراكا في شيء أو أشياء أخرى، فليس كل اشتراك يعني الوحدة، وليس كل تداخل يوقَفُ عنده؛ إذ لا بدّ من أن يكون الاشتراك حقيقياً خاضعاً لقواعد المَشتَرك)[٣].

ومن خلال البحث في اللفظين، يمكننا أن نجد فوارق وموائز علمية وجوهرية ما بين (المفهوم) و(المصطلح) هي[٤]:

(١) العتابي، ليث، الأدوات المعرفية، ص ٢٠٢.
(٢) فلسفة العلوم (وقائع الندوة الأولى)، معهد الدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨٨م، ص ٤١،٤٢.
(٣) العتابي، ليث، الأدوات المعرفية، مصدر سابق، ص٢٠٣.
(٤) ظ: العتابي، ليث، الأدوات المعرفية، مصدر سابق، ص ٢٠٤.

١ـ المفهوم يركز على الصورة الذهنية، وهو أسبق من ا لمصطلح .

٢ـ أما المصطلح فهو يركز على الدلالة اللفظية للمفهوم، وهو الذي يعطي المفهوم وجوده وتحققه اللغوي.

٣ـ يُعدُّ المفهوم وحدة معرفية بحد ذاتها، أما المصطلح فيُعدُّ تسمية لهذه الوحدة.

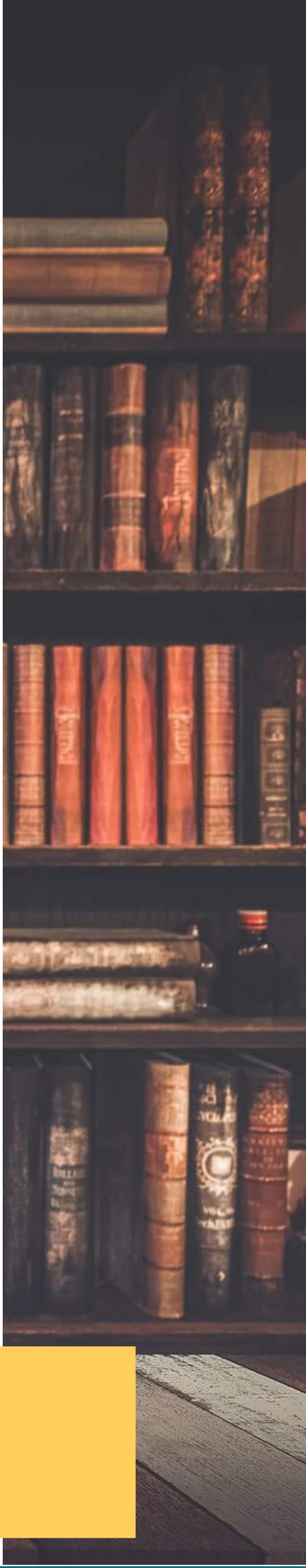
مما تقدم يمكننا أن نصل إلى مائز، هذا المائز سيكون واضحاً جداً بعد أن نَتعرَف على تَعريف (المفهوم).

فالمفهوم هو (تمثيل ذهني يستخدم لتصنيف أفراد العالم الخارجي أو الداخلي عن طريق التجريد)[١].

على أن التعريف المتقدم للمفهوم شهد تعديلاً مهماً لتجاوز خلله وما أُثير عليه، فتم تعريفهُ بتعريفٍ يعتبر أكثر توافقاً وتداولاً، وهو: (المفهوم تمثيل فكريّ لشيء ما (محسوس أو مجرَّد) أو لصنف من الأشياء لها سمات مشتركة ويعبَّر عنه بمصطلح أو رمز)[٢].

وقالوا عن المفاهيم بأنها (أنظمة معقدة من الأفكار الأكثر تجريداً، والتي يمكن بناؤها فقط من خبرات متعاقبة في مختلف المجالات)[٣].

وبذلك نفهم أن (المفاهيم أعم وأشمل من المصطلحات، وما المصطلحات إلا اختزالات واختصارات للمفاهيم)[٤].



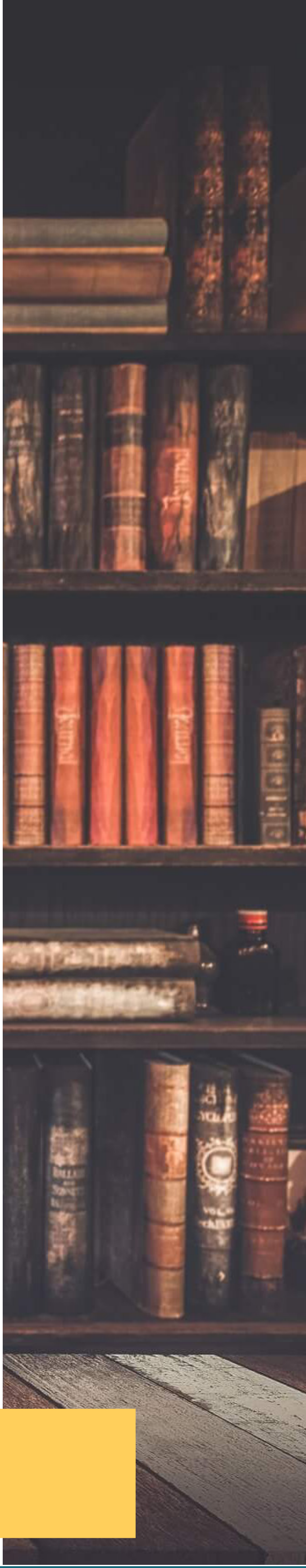
(١) القاسمي، على، علم المصطلح، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ٢٠٠٨ م، بيروت، ص ٣٢٧.
(٢) القاسمي، على، علم المصطلح، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ٢٠٠٨ م، بيروت، ص ٣٢٨.
(٣) قلادة، فؤاد سلمان، أساسيات المنهج في التعليم النظامي وتعليم الكبار، دار المطبوعات الجديدة، ط١، ١٩٧٦م، القاهرة، ص ٢٤٥.
(٤) العتابي، ليث، الأدوات المعرفية، مصدر سابق، ص ٢٠٦.

من هنا تبرز أهمية المنظومة المعرفية، ذلك أنها مكونة من مجموعة مفاهيم مترابطة، وأي خللٍ بواحدٍ من مفاهيمها سيؤدي إلى الخلل بالمنظومة نفسها، وبالتالي ستعطي نتائج غير صحيحة، فهي أشبه بالآلة حين يتعطل بها جزء ما سيجعلها لا تؤدي وظيفتها الكاملة والصحيحة.

و(إن عزل أي مفهوم عن منظومته المعرفية التي يَتبعُ لها سيؤدي إلى حدوث انقطاع بينه وبين المصطلح الذي يُعَبِّر عنه، وسيؤدي لحدوث تباين بين لفظ المصطلح ومضمونه الحقيقي، وبذلك يقع اللبس، وعدم الفهم، المؤدي للتأويل الخاطئ)[1].

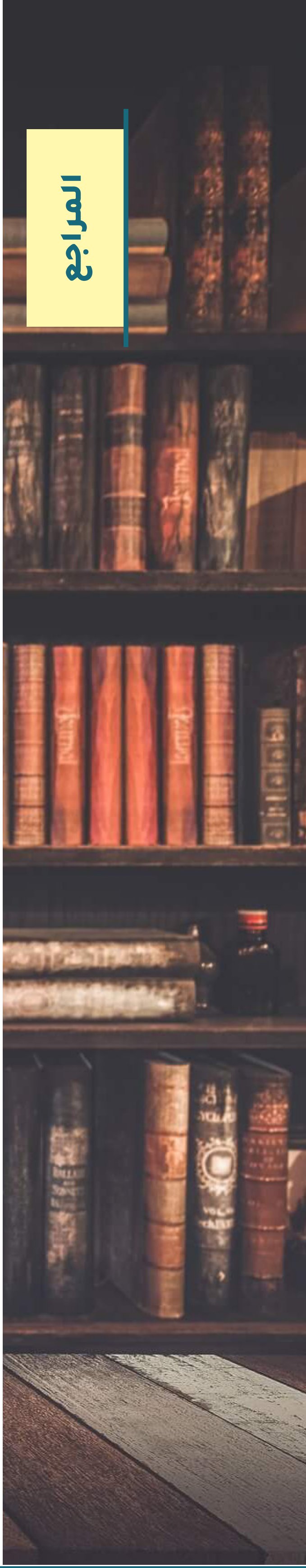
نعم، تتركز وتتحتم الأهمية عندما يكون البحث تاريخياً، فعلينا حينها إتقان فهم تلك المفاهيم التاريخية والتراثية؛ لنبتعد عن الخطأ واللبس، لكي تتحقق الجدوى المعرفية المرادة من البحث العلمي. (فعلى الباحث في المفاهيم التاريخية والتراثية بيان أسس هذه المفاهيم وأصولها، ومِن ثَمَّ تطور استعمالاتها على مر العصور ليمكنه أن يكشف التحولات الطارئة على تلك المفاهيم التي بنيت عليها أصول العقائد أو أصول القانون وقواعده، إن متابعة أصل الانطلاق ثم التحول والقبول أو الرفض يكشف للباحث مراحل تطور تلك المفاهيم)[2].

بعد كل ما تقدم تبرز أهمية الصناعة المعجمية، إذ إن لها الدور الكبير في حل الإشكاليات التي طرحت والتي ستطرح، ولها الدور الكبير في عمل معجم أو موسوعة تحقق الفائدة المرجوة منها.



(١) العتابي، ليث، الأدوات المعرفية، ص ٢٠٦.
(٢) الربيعي، حسن كريم، البحث المعرفي، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٦ م، بيروت، ص٣٤.

المراجع



١ـ الربيعي، حسن كريم، البحث المعرفي، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٦ م.

٢ـ العاتي، إبراهيم، حرب المفاهيم (بحث)، موقع الركن الأخضر (الركن الثقافي).

٣ـ العتابي، ليث، الأدوات المعرفية، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٤م.

٤ـ العلي، محمد، نمو المفاهيم تساؤلات وآراء في الوجود والقيم، محمد العلي، النادي الأدبي ـ الرياض، ٢٠١٣ م.

٥ـ القاسمي، علي، علم المصطلح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٨ م.

٦ـ رابو برت، أ. س، مبادئ الفلسفة، ترجمة: أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ٢٠١٢ م.

٧ـ طهوب، ديمة طارق، حرب المصطلحات (بحث)، موقع إسلام أونلاين.

٨ـ عبد الرحيم، جواد حسني، إشكالية المنهج والمصطلح النقدي (ندوة)، مجلة اللسان العربي، الرباط، العدد ٢٣، ١٩٨٥ م.

٩ـ فلسفة العلوم (وقائع الندوة الأولى)، معهد الدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨٨م.

١٠ـ قلادة، فؤاد سلمان، أساسيات المنهج في التعليم النظامي وتعليم الكبار، دار المطبوعات الجديدة، ط١، ١٩٧٦م، القاهرة.

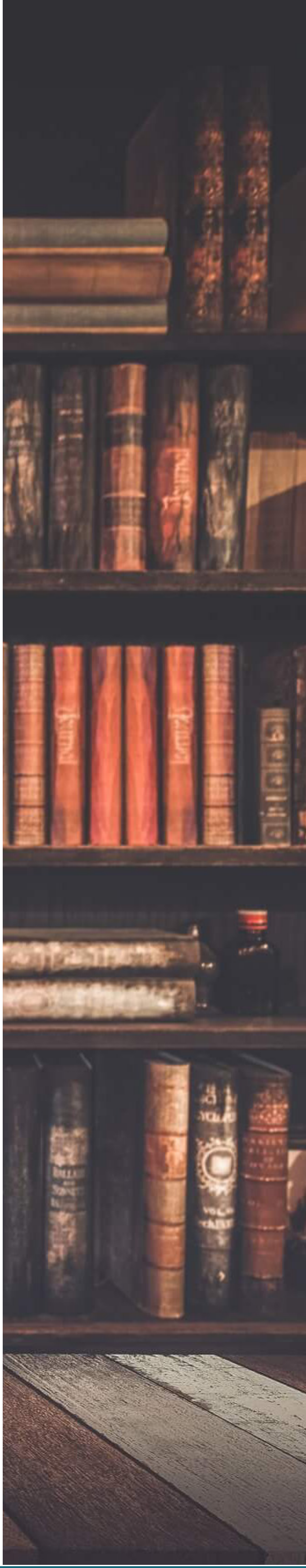
١١ـ مجموعة باحثين، المعجم الموسوعي لمصطلحات الحداثة، شركة الرسل، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٢م.

١٢ـ مرتاض، عبد الملك، صناعة المصطلح في العربية، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، العدد ٢، ١٩٩٩م.

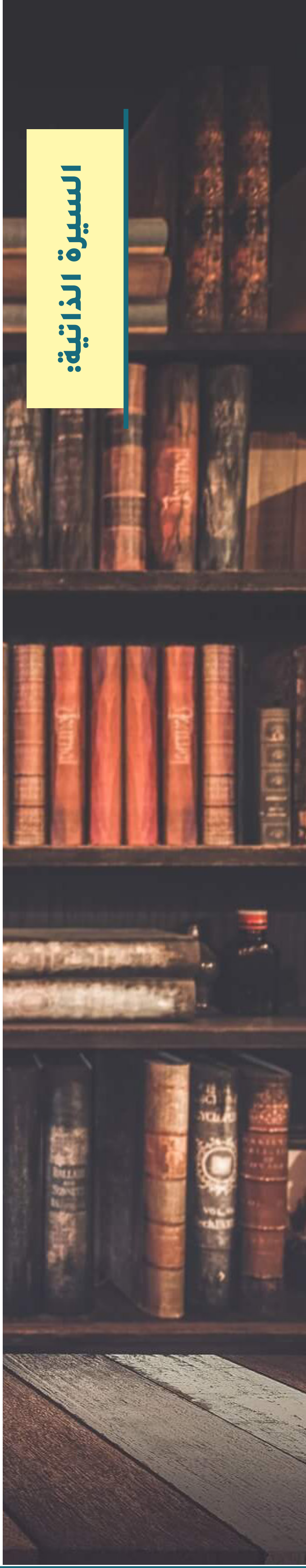
١٣ـ هيئة المواصفات والمقاييس العربية السورية، معجم مفردات علم المصطلح، مجلة (اللسان العربي)، الرباط، المغرب، ع ٢٤، ١٩٨٥م.

****





السيرة الذاتية



الاسم: ليث العتابي.

التولد: ١٩٧٥ ـ واسط / الكوت.

التحصيل الأكاديمي: ماجستير علوم القرآن.

عشرات البحوث المنشورة في مجلات داخل العراق وخارجه، منها مجلات محَكمة.

عشرات المشاركات في مؤتمرات داخل العراق وخارجه.

عمل في عدة مناصب علمية وفي مؤسسات مختلفة منها.

عدة كتب مطبوعة عددها (٢٠) كتاباً، منها:

١ـ الأدوات المعرفية.

٢ـ المدخل إلى القواعد القرآنية.

٣ـ المشاركة في تأليف المعجم الموسوعي لمصطلحات الحداثة.

٤ـ الميتامعرفة.

٥ـ جدلية الأيديولوجي والمعرفي.

٦ـ دوغمائية المعرفة المستعارة.

٧ـ تجارب نهضوية.

****

CV

Name: Laith Al-Atabi.

Birth 1975 :and Wasit / Kut.

Academic Achievement :Master of Quran Sciences.

•Dozens of researches published in magazines inside and outside Iraq ،including refereed journals.

•Dozens of participants in conferences inside and outside Iraq.

•Worked in several scientific positions and in different institutions.

•Several books (20) books ،including:

1 -Knowledge tools.

2 -Introduction to Quranic rules.

3 -Participation in the author of the encyclopedic dictionary of modernity terms.

4 -What is known.

5 -Ideological and cognitive dialectics.

6 -Dogmatical knowledge.

7 -Renaissance experiments.

